

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من سلسلة "دورة شرح الأربعين النووية"

الحديث الخامس والعشرون

لفضيلة الشيخ: هاني حلمي

رابط المادة: <http://www.way2allah.com/khotab-item-68365.htm>

نص الحديث الخامس والعشرون:

عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يُصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن لكم بكل تسيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة" قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر" هذا الحديث رواه مسلم في كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

من هم أهل الدثور؟

لماذا وضع الإمام النووي هذا الحديث في الأربعين؟، قالوا: لأنه مشتمل على معاني عظيمة في بيان العبودية، هنا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لهم القصة: إن الفقراء أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا له "ذهب أهل الدثور"، الدثور؟! تعرفون المدثر؟ دثر يعني أصحاب المال الوفير الذي يغطيهم، مال كثير جداً، أهل الدثور.. أهل الأموال، الأغنياء، جاؤوا قالوا: الأغنياء فقط هم الذين يعيشون، الغني يتصدق بمال كثير يأخذ ثواب كبير، يعمل مستشفى أو يبني مسجداً أو يعمل داراً للأيتام فيأخذ أجر هؤلاء الناس جميعاً، لكن كيف لنا نحن أن نأتي بأجر هؤلاء الناس ونحن فقراء ليس معنا مال، كيف تأتوا بهم؟

النبي هنا بين معنى من المعاني التي تستطيع بها أنت أن تصل إلى هؤلاء وفي أحاديث أخرى بين معاني أخرى كما في الحديث "إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي ربه فيه" عبد أعطاه الله مال فماذا فعل؟ بنى به مستشفى، ماذا فعل؟ بنى به مسجد، ماذا فعل؟ عمل خير كبير جداً كان سبباً في هداية ناس، كان سبباً في أنه عمل أعمالاً خيرية جعلت هؤلاء الناس ينعمون بعد محنة الفقر، أيًا ما كان.

أنا أريد أن آتي بهم فقال لك الثاني ماذا يفعل؟ عبد معه مال فالثاني يقول "لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء" صححه الألباني إذن أول شيء لكي نضع النقط على الحروف هذا الحديث أصل من أصول المتاجرة مع الله.

مفهوم المتاجرة مع الله

قلت لك المتاجرة مع الله بالاحتساب هذا أول شيء وهو يندرج تحت حديث "إنما الأعمال بالنيات" صحيح البخاري، وهو أول حديث درسناه، لذلك الإمام النووي لم يذكره هنا لأن موضوع الأعمال بالنيات داخل فيه هذا الكلام، لكن ما الذي ذكره هنا؟ أن من أعظم الأعمال الصدقة، وكما ذكرنا "الصدقة برهان" صححه الألباني، قال وأنتم تعتقدون الصدقة مال فقط! إنما التسيحة صدقة، التحميدة صدقة، التهليل صدقة، الدعوة صدقة، جماع الرجل لزوجته صدقة، فوسّع مفهوم العبودية.

مَن العابد؟

الصَّوَامُ الْقَوَامُ فقط؟! وتعلم "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم" صححه الألباني، مَن العابد؟ العابد الذي يعمل كل شيء يرضي الله عنه فيما يستطيع، فأنا ليس معي مال.. اشتغل بالذكر، أنا لا أستطيع فعل مثل ما تقومون به في الدعوة، إذن أفنق مالك وساعد مَن يعمل بالدعوة إذا كنت لا تستطيع أن تخدم بنفسك اخذم على خادم، ماذا تعني؟ أعني إذا أردت مثلاً أنا أن أعمل كتاب وأنا لا أستطيع أن أصرف كذا لكن أنت تستطيع أن تصرف، فتأخذ أنت الكتاب وتطبعه، فكل إنسان عنده شيء يشتغل فيه، إذن المعنى أوسع من تضييقه في أشياء معينة.

فلما قالوا له "ذهب أهل الدُّثُورِ بالأَجُورِ" صلاة مثل بعضهم البعض، صوم مثل بعضهم البعض لكن في الصدقة هم أعلى، فماذا نفعل؟ قال لهم مَن قال لكم أن الصدقة مال فقط! الصدقة بالتسيح والتكبير والتحميد والتهليل، إذن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر - التي هي الباقيات الصالحات - من أعظم القربات والصدقات والدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة.

أيضاً أنت عندما تحسن معاشره زوجتك وتحتسب ولا تكون عابد شهوتك ولم تعاشرها فقط لمزاجك إنما أنت تعف نفسك وتعفها فيقول "وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ" أي في جماع الرجل لزوجته صدقة، قالوا له يا رسول الله كيف ذلك! إنها شهوة، مزاج، فكيف للمرء أن يشرب كوب ماء ويأخذ عليه ثواب؟! كيف يقضي المرء شهوته ويكون له ثواب؟! "أرأيتم لو وضعها في حرامٍ" لو وضعها في حرام "أكان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال" ربنا كريم أكرم، فيكون له بها أجر.

الأحكام الخمسة:

خذوا فائدة ذهبية طالما الموضوع وصل بنا للحلال والحرام، ذكرت لكم من قبل أن الأحكام خمسة: حرام، مكروه، مباح، مستحب، واجب أو فرض، تأتي للثواب.. فمَن يفعل الحرام يكون عليه وزر، ومَن يفعل المكروه يُلام على أنه يفعله، اقترب من الحرام يُعاتب على أنه يفعل مكروهات، مَن يفعل مباح ليس عليه وزر، مباح صرف: يأكل، يشرب، يتحرك، يتكلم ليس له هنا ثواب، إنما مَن يفعل مستحب يأخذ ثواب، مَن يفعل واجب يأخذ ثواب.

جزاء عدم فعل المعصية

ماذا قال العلماء؟ قالوا في تعريف الحرام، التعريف بالثواب، التعريف بالجزاء قال لك: إذا تركه يؤجر امتثالاً، لم أفهم، ماذا تعني؟ أنا لم أسرق -الحمد لله- أنا لم أقتل أحداً - الحمد لله-، قال لك إذا نازعتك نفسك على ذلك ثم قلت لا والله حرام أن أفعل هذا! لا لن أفعله ابتغاء مرضاتك يا رب.. تأخذ عليها ثواب.

ما الفكرة؟ أنت يمكنك أخذ ثواب وأنت نائم على فراشك، كيف؟ كان علي يؤثر عنه أنه كان يناجي الله بالعمل الصالح، فيقول: "والله ما نظرت إلى حرام، والله ما وضعت فرجي في حرام ويسأل الله بذلك"، ما هذا؟ بترك المعصية يأخذ عليها حسنات!، تعرف معنى أن تقول أنك لم تقتل أحداً وتقول يا رب أنا لم أفعل هذا لمرضاتك تأخذ عليها حسنات، ترك المعصية ابتغاء مرضات الله تأخذ عليه حسنة، فيمكن أن تتقرب إلى الله بأشياء فتقول اللهم بحق أني لم أزن ولم أسرق ولم أغترب ولم أفعل كذا وكذا وكذا -هذا عمل صالح- اللهم إلا قد غفرت لي.

فوائد الحديث:

هذا الحديث قد بين عدة أمور نأخذها في نقاط سريعة:

١- سعة فضل الله ورحمته.

٢- أصل في المنافسة في الطاعات، الصحابة يسألون: الأغنياء يسبقوننا! لا بل لا بد أن نسايقهم، أبو مسلم الخولاني كان يقول: "أبظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا! والله أبداً، كلا والله لننازعنهم عليه حتى يعلم أنه خلف من بعده رجلاً".

٣- نستفيد من هذا الحديث معنى اسم الله الواسع "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" الأعراف: ١٥٦، وفي نفس الوقت وسع خيره وأبواب الخير إليه وسعها لم نضيقها نحن؟، أنت يمكنك أن تفتح في هذا الباب وأنت في هذا الباب وأنت في هذا الباب "وكل ميسر لما خلق له" صحيح البخاري

٤- من فوائد هذا الحديث أن ذكر الله خير صدقة على النفس.

٥- أن دعوة الخير صدقة على المجتمع.

٦- مما يرشد إليه هذا الحديث استعمال الحكمة في معالجة المواقف وإدخال البشري على النفوس بتطبيب الخواطر، الفقراء عندما أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقل لهم ماذا أفعل لكم؟ الله جعلكم فقراء!، إنما طيب خاطرهم، فطيب خاطر الناس ولا تكسر بخاطر الناس.

٧- استحباب الصدقة للفقير إذ كان لا يضيّق على عياله ونفسه.

٨- التصدق بما يحتاج الإنسان إليه للنفقة على نفسه أو أهله أو عياله مكروه، وقد يكون محرماً إذا أدى إلى ضياع.. يعني إذا أنا تصدقت -لكن الكلام يقال خطأ عند الناس-، يقولون إذا أنت تصدقت وضيعت عيالك يعني أنا أصرف المال كله وأنت ليس عندك هذا اليقين، لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لكعب بن مالك عندما

تاب الله عليه وقال له: "إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-

أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك." صحيح البخاري

أريد التركيز معي الآن، أبو بكر جاء للنبي بماله كله وأخذه النبي، عمر جاء بنصف ماله فأخذه النبي، سيدنا عثمان وضع له المال الذي يجهز به جيش، لماذا عندما جاء كعب ابن مالك للنبي قال له لا؟ يقول ابن الجوزي "لأن أبا بكر كان رجلاً تاجراً"، -والتجار فاهمين-، أنا الآن أعمل في التجارة والناس تعمل معنا في التجارة، فيأتي وقت عليّ عسير ليس معي سيولة فأذهب أكلّم الحاج فلان ليرسل لي بضاعة أعمل بها حتى تتيسر الأمور، أبيع تلك البضاعة وأعطيك مالك فنحن نعمل معاً منذ وقت، فيستطيع أن يعطي له مال إذا لم يكن معه رأس مال لأنهم يعملون معاً منذ وقت طويل..

فأبو بكر تاجر عندما يأتيه وقت عسير سوف يتصرف، إنما كعب ابن مالك لم يكن له مال ولا تجارة فلو أخرج ماله كله ماذا يفعل بعد ذلك؟ من أين يأتي بمال؟، لذلك قال له النبي "أمسك عليك بعض مالك" صحيح البخاري قالوا لأن هذا من باب تفريغ الهم، إذا أنا أخرجتها كلها في أول الشهر، أنا مرتبي ألف جنيه أحببت أن أعمل فيها أسد وأخرجت تسعمائة جنيه لسوريا ومائة جنيه متبقية، زوجتي: أين المال؟ لا أنا تصدقت لسوريا، -سوريا مين يا عم الحاج؟- أقول لك الأولاد يحتاجون كذا ويريدون كذا، ماذا نفعل؟ لا تخافي، ثم جلست أقول يا رب أنت قلت "أنفق أنفق عليك" صحيح البخاري، يا رب سوف تأتي علينا أيام صعبة، هذا لا ينفع، إنما "أمسك عليك بعض مالك".

ما أتحدث فيه أنك شحيح، فأنت معك ألف جنيه فتخرج عشرة جنيه، يا رجل اجعلهم خمسين ولا تخف لن تحدث مصائب، يعني يوم تأكل بصارة وعدس وفول وطعمية، جينة وأي شيء وسوف تمر الأيام، اجعلها لله، إذن سوف تقدر على الخمسين جنيه ولن تقدر على التسعمائة.

هذا ما نتحدث فيه، الدين يقول لك لا هذا ولا ذاك، إذن لا تُسرف "وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا" الإسراء: ٢٦ وفي ذات الوقت "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا" الإسراء: ٢٩ هذا هو الدين، ما نقص مال من صدقة، لكن بفقته، يعني أتصدق مثل ما قلت لك أنفق، فماذا قال له؟ "أمسك عليك بعض مالك"، هنا قال العلماء إذا أنفق نفقة يحتاجها عياله أو أهله وضيعهم.. التي هي "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى" صحيح البخاري وقال "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت" صححه الألباني لا تضيع عيالك.

فإذن هذا من فوائد هذا الحديث ومن فوائد هذا الحديث أيضاً:

٩- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع المسلم.

١٠- حسن معاشررة الزوجة.

١١- الحث على السؤال فيما ينفع، الفقراء سألوا في هذه القضية الخطيرة.. ماذا نفعل؟، النبي -صلى الله عليه وسلم- عرفهم طريق الخير الذي عليهم أن يسيروا فيه.

١٢- للمستفتي أن يسأل عن ما خفي عليه من الدليل، يعني إذا جئت تقول لي شيخنا ما حكم كذا؟ أقول لك حلال، حلال! فمن حله؟ لا أفهم كيف؟ فيبدأ لكن بأدب يعني حضرتك هو أنا كنت عايز أعرف ما الدليل؟ -لكن

بأدب وليس ما دليلك؟-، لا ليس هكذا أنت تتأدب وتساءل عن ذلك ولا مانع من بيان الدليل للمتعلم لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- بدأ يبين لهم الشاهد في الحديث أنه قال لهم "وفي بضع أحدكم صدقة"، فقالوا أحدنا يجمع زوجته ويأخذ حسنات!، فبين لهم الدليل قال لهم: ولو عملها في حرام قالوا سوف يأخذ سيئات، وكذلك لو عملها في الحلال يأخذ حسنات وبالتالي أخذوا من ذلك آخر فائدة.

١٣- مشروعية القياس، أنه قال له أفرايت إن فعلها في حرام سوف يأخذ عليها سيئات، وإذا كان فعلها في حلال؟ إذا كان سيأخذ على الذنوب سيئات إذن لو عمل فعل خير سوف يأخذ عليه حسنات. هذا ما تيسر حول هذا الحديث.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>